الحركية الإستراتيجية لبيداغوجيا التعليم الجامعي
مسلك ورهان مستقبلي

د/ لوشن حسين
كلية العلوم الإنسانية
والاجتماعية والعلوم الإسلامية
جامعة باتنة.

الملخّــص:

أصبح التعليم الذي يجري داخل المؤسسات الجامعية، يشهد في الآونة الأخيرة، موجة تغييرات وتعديلات متتالية، والمسألة التـــي تستحق فعلا، وضعها على محمل الجد والإهتمام، وهي العملية البيداغوجية بمعناها الراقي والحديث. ولكن شريطة، أن تتسع بيداغوجيا هذا الصنف من التعليم، لتمس مختلف المقومات والعناصر، والأساليب التنظيمية والفنية والتكنولوجية والمعلوماتية، والتي تخدم كل الفرق المنتمية للجامعة من دون إستثناء. وفوق هذه التصورات، لابد من الأخذ في الإعتبار الأساتذة والطلبة، كطرفين محوريين ومتفاعلين، بحكم علاقتهما المباشرة والأسلسية ، بالجوانب البيداغوجية التي تتم في الوسط الجامعي. وطبقا لهذا التوجه المستقبلي، يظل من اللائق والمنشود، أن تكون الحركية الإستراتيجية الخاصة بالتعليم الجامعي، تنتهي إلى مخارج إيجابية ومثمرة، ومحققة لأهداف مرغوبة و يرتضيها الجميع، كما تمنح الإرادة وتحفز على العمل، وبوتائر متنامية ودرجات عالية متطورة، لصالح الأفراد والجامعة والمجتمع.

Résumé:

L'enseignement préconisé dans les institutions universitaires, marque aujourd'hui, une vague de transformations et d'aménagements successives, l'élément primordial et l'action pédagogique au sens moderne du terme. A condition, que cette action englobe tous les éléments et les méthodes organisationnels, techniques et technologiques et informationnels, dont ou besoin tous le potentiel universitaire. En plus de cette vision, il faut tenir compte de l'importance des enseignants et des étudiants comme éléments fondamentaux et interactifs de toute action pédagogique au sein de l'université.

Considérant, cette optique futuriste il serait nécessaire que l'action stratégique universitaire aboutisse à des outputs positifs et fructueux, afin d'atteindre les objectifs préconisés par l'ensemble de la communauté universitaire, et stimula la volonté de tous

مقدمـــة

إن التأسيس الفكري النظري لهذا البحث، سوف يقودنا وبلا شك إلى الاعتقاد، أن التعليم يأتي في طليعة الصنائع التي أوجدها وأبدعها الإنسان، وقد امتهنه منذ القديم وفي الوقت الحالي، ولازال يأخذ ويرقى به نحو المستقبل. ومواكبة للجهود التي تبذل يوميا من قبل المختصين والمشرفين، والمسيرين والقائمين على الشؤون التعليمية، وذلك في كل المجتمعات مهما اختلفت درجات تحضرها، والتي يصح القول معها، أن بعض المساعي والأعمال، أحيانا ما تتوج بإحداث النقلة النوعية والمتجددة في تطويره، وها هو يمارس في شكل نشاطات رسمية ومتنوعة، في مؤسسات تعليمية أقيمت لأجدله ، وبمختلف أصنافها بما فيها المؤسسة الجامعية. ومن منطلق هذا التصور، يجدر بنا ونحن معلمين وأساتذة وباحثين في نفس الوقت، الحرص والمثابرة على تأكيد توجه، أن الجامعة وبما لهذه المؤسسة من أبعاد وأدوار واسعة النطاق، يحق أن تحتل أول الركب داخل المجتمع، وهو المكسب والرهان المستقبلي الثمين، الذي يستشعر ويفرض على جميع الأطراف والفعاليات، الإيمان برسالة المشاركة المجدية، وهذا في تنظيم وإدارة وتنفيذ الممارسات التربوية والتعليمية.

كما يجب تقديم الدعم المستحق، والذي يتجلى في العمل على تحسين خبرات ومهارات وكفاءات الموارد البشرية ، أضف إلى الرفع من الحصص المالية، وتجديد الأجهزة والوسائل، وتوفيرها بالقدر الذي تثمر معه في المدخلات والعمليات والحوافز والمخرجات، باعتبارها الإجراءات والعناصر الحيوية، التي تحكم دورة النشاطات البيداغوجية، والتي تجري داخل المؤسسة الجامعية بالذات. وحينما نتمعن ونعيش ونتتبع، التغييرات والتعديلات التي مست جوانب كثيرة في بنية التعليم الجامعي، سيقودنا الاهتمام الذي نوليه لمثل هذه القضايا، مباشرة إلى البحث عن قوام السياق البيداغوجي، الذي يفترض أن ترتسم وتتحدد فيه طبيعة حركية العملية التربوية والتعليمية التي تتم في الجامعة.

لأنه من خلال هذا الإطار، وبعد فهم تركيبة عناصره التي يستند عليها، يمكن الكشف إمّا عن حالة وجود ملامح قدرة وجدارة، وأول ما تظهر عند المكونين في أداء

مهامهم النبيلة والرفيعة الموكلة إليهم، وهي ما تعكس تفوق يبرر ويدل على جودة التعليم وتطوره، والمتدرج ضمن إستراتيجية محكمة وواضحة المقاصد، وقد يحصل أن يكون الواقع العكس، فيفرز آثار تخل بالمنظومة البيداغوجية ، وسيعيق ساعتها سيرورة ونمو التعليم بالجامعة.

وحتى تنجح العملية البيداغوجية، يجب أن يمارس التعليم في الجامعة بكيفيات راقية، ومناهج وبرامج وطرائق ووسائل حديثة، لأن الهدف هنا، يرجع إلى قيمة ما تقدمه نواتجه من مردود، له امتدادات تكوينية وسلوكية وثقافية، وأيضا مجسدات فنية وتقنية ومادية وفيرة، يجنيها وبشكل محسوس وملموس الأفراد والمؤسسات والمجتمع. إن تطلعا مستقبليا من هذا النوع ، يجعلنا ننوه بقيمة هذا الموضوع ، في الحقل والميزان المعرفي والعلمي، سيما في الوقت الحالي، لأن الأصل في قوة الجامعة واستمرارها وتطورها، أن تتحصن وتمتلك منظومة بيداغوجية، شريطة تفعيلها داخليا وخارجيا، لأن العصر آلته التنافس والسباق نحو الإبداع والاختراع والريادة.

واضح أن الطرح الإستشرافي الذي تبنيناه، سيؤدي بنا إلى توقع نهضة، سوف تقودها الجامعات والمراكز الجامعية، والمدارس العليا والمعاهد الوطنية، وتضعها على محك الاختبار، وهو الأمر الذي يفرض عليها، أن تخوض معترك التغيير، وترفع آفاق ورهانات، كما تواجه صعوبات وتحديات عديدة، لكن التفوق قائم بالدرجة الأساس على بعث الديناميكية، في مختلف مكونات النظام التعليمي الجامعي، أضف إلى الاعتماد على توجه استراتيجي متكامل بيداغوجيا في المستقبل القريب. ومحاولتنا في هذا العمل ، ستنصب حول توضيح الكيفيات التي يجب أن تمارس بها العمليات التربوية والتكوينية، والتعليمية والتدريبية والتوجيهية...، كجوانب مهمة في السياق البيداغوجي وما أحوج جامعاتنا في الجزائر إلى خطط، تضمن مستقبلا النجاح في الأمور البيداغوجية.

أولا: التعريف بمفاتيح البحث : لأجل توضيح قيمة هذا الموضوع من الناحية النظرية، سنعمل على إسناده بمجموعة من المفاهيم، نعدها وحدات أساسية للتحليل، والذي يمس الجوانب والمكونات الضرورية للعملية البيداغوجية في التعليم الجامعي.

كما ندرك أنها ترتبط، وتنخرط في سياق مفهومي فيما بينها ، وذلك فكريا وعلميا وميدانيا، وتقود إلى تكوين تصورات حقيقية، تمس ما يحدث من تنظيمات وتعديلات وإصلاحات في مجال التعليم العالي، وسيتم شرحها وتبسيطها على النحو الآتي:

1-الحركية le dynamisme: كلمة **حركيـــة** dynamisme في الاصطلاح اللغوي، تدل على الديناميكية التي يتوفر عليها الكائن أو الشيء، أو الخطة أو المشروع.

أما من الناحية البيداغوجية، فيصبح معنى الحركية يرادف لمعاني كل من:

التغييـــــر-التجديـــد- التحديث-التطويـــر-الهيكلـــة-التنشيـــط ...

وقد يتعدى مدلول الحركية، ليعبر عن .... **مجموع الإجراءات والخصائص والمكونات الحديثة، والتي تعوض العناصر القديمة** [1]، وتكون لها قوة داعمة للعملية البيداغوجية، تنظيميا وتربويا وتعليميا... .وبهذا التحديد، نرى أن الحركية البيداغوجية، تعكس العمليات المختلفة التي يستلزمها التعليم العالي، وتبقى ... **تشكل مع بعضها مواقف إيجابية، تعتمد بالدرجة الأساس على المشاركة والنشاط الجماعي والفردي، مع المحافظة على وتيرة الجهد في الإنجاز، وتحقيق الأهداف، ومن ثم تلبية الحاجات والرغبات المفضلة** [2]، شريطة ديمومة وتيرة الديناميكية، في الأعمال التي تجري داخل البيئة الجامعية وفي ظل هذا الاتساق، سوف تتعزز آليات الإستراتيجية البيداغوجية.

2-الإستراتيجية La stratégie : لفظ **إستراتيجية** stratégie ، أخذ عدة اصطلاحات، وذلك لاختلاف مدلولاته الفكرية، واستخداماته في مجالات متنوعة، بدءا بالميدان العسكري فالسياسي ثم الإداري والاقتصادي، والتربوي والتعليمي...

وفي المدلول البيداغوجي، يأتي مفهوم الإستراتيجية ليرادف معناها، الكلمات الآتية:

الفـــــن-الخطـــــة- الوجهـــة -المســـلك-السبيـــل-الهدفيـــة ...

ومادامت الإستراتيجيات، تتنوع من حيث مستوياتها، وأهدافها ووسائلها وبدائلها ، وهي:

1-**المستويات:** شاملة، فرعية

2-**الأهداف:** عامة وترتبط باتخاذ القرارات، خاصة وتظهر في التخطيط

3-**الوسائل:** بشرية، تنظيمية، مالية، مادية، تقنية، تكنولوجية...

4-**البدائل:** آنية، مستقبلية

وتبعا لهذا الفهم، المبني على تصور تمليه ممارسة بحثية في هذا الشأن، تصبح الإستراتيجية التي تحكم التعليم داخل المؤسسة الجامعية، والتي لا تتعارض مع البيداغوجيات السائدة ، ... **أنها الخطة في العمل، والمصممة طبقا للمجال والبيئة، والتي توضع لتحقيق أهداف معينة، مع توفير الشروط اللازمة، لضمان منعها المخرجات غير المرغوب فيها** [3]، وهذا المطلب تحقيقه، يتأتى بالاختيار الأفضل للقوى البشرية ، التي تمتلك فعلا المواهب والطاقات الخلاقة والجيدة ، وتخصيص الأدوات المتطورة، والتي تؤدي كلها إلى توثيق الصلة بين المدخلات والعمليات، والحوافز والمخرجات، لأنها إجراءات ومكونات ومقومات، أساسية للعملية البيداغوجية في التعليم الجامعي.

ومن جانب آخر، تبقى الإستراتيجية في نطاق التعليم العالي، تمثل حقلا وفنا واسعا ومتشعبا، مما تتجاذبها سياسات وأهداف وتوجهات، قد تكون مع البعض منها تستدعي جهودا مكثفة لتطبيقها ، ولكي تنفذ وبسلاسة ومنهجية مدروسة، فإنه يتعين الاهتمام بها، كعملية مركبة و باعثة للحركية في المكونات البيداغوجية، وتجمع في الأخير بين القناعات والممارسات، التي تقوم بها الفرق في الوسط الجامعي.

3-البيداغوجيـــا La pédagogie : اقترنت كلمة **بيداغوجيا** pédagogie في الأول بالتربية، فكانت تعني :

التنمـــــو-الصقـــل- التهذيب-التكوين...

ولما تطور التعليم وتعددت وتنوعت استخداماته، وخاصة التعليم الجامعي، لقد تبلور مفهوم البيداغوجيا ليشمل كلا من التربية والتعليم، وأخذ مرادفات منها:

الإعدادات-الإجراءات- الفنـــون-الممارسات...

لذلك مصطلح البيداغوجيا، له علاقة وثيقة بـــ...**العلم أو الفن الذي يبحث في أسس التنمية البشرية وعواملها وأهدافها الكبرى**[3]، بمعنى أن يتحرك التعليم العالي المعاصر، وفق المطالب الحالية، والحاجات التي تستحقها المؤسسات الجامعية والمجتمع.

ومن دون التأخر أو التهاون في الاستثمار، والاستفادة الإيجابية التي تقدمها حضارة التكنولوجيا، والمعلوماتية لشعوب العالم، وعليه فإن البيداغوجيا في مجالي التربية و التعليم، يجب أن تتحرك نحو ترقية وتنمية المواهب والقدرات، وتدعم الاستعدادات والمبادرات لدى هيئات التدريس والطلبة، باعتبار أنها الفن الذي يفترض أن يدار

ويمارس،بشكل راق في الميدان التعليمي الجامعي، سيما المهيكل والمتجدد في إجراءاته، والمطور في تنظيماته باستمرار.

4-التعليم L'enseignement : إن مفهوم **تعليم** enseignement ، يفيد في الاصطلاح والدلالة إلى كلمات مرادفة، مثل:

التدريس-الجهد- النشاط -القيادة-التبصير-التدريب...

كما أنه أخذ معان كثيرة، وذلك لتعدد الرؤى والمقاصد حوله، لكن في الحقيقة يدل على مجموع **...النشاطات الهادفة إلى تنمية مواهب المتعلمين، وإكسابهم المهارات المختلفة، وتمكينهم من استقصاء المشكلات، ووضع الخطط والوسائل لحلها، والقدرة على القيام بالأعمال والمشروعات**[5] ، وسيما ذات الصلة بحياتهم في المجتمع.

وبهذه الصيغة، فالتعليم ببعديه النظري والعملي، يقترن ضمنيا بالتعلم، وهذا الأخير ينبثق من الفطرة الآدمية، إذ كان ولا يزال الإنسان في حاجة ضرورية، ليتعلم ويتعرف على ما يحيط به، وما في غور الذات من مكنونات، وذلك طبقا لقوله تعالى: ((**إقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، إقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم**)) سورة العلق الآيات1-5 [6]، وما يسند التعلم هو التعليم.

إن التعليم مع الوقت تحول إلى ظاهرة اجتماعية، و تدرج مع تطور البشرية منذ القديم إلى الحديث، وأخذ فروع ومستويات متعددة، يأتي في هرمها التعليم العالي، والذي يمارس رسميا ونظاميا في المؤسسات الجامعية، وعلى نحو مخطط ومصمم وهادف.

والأكيد، أنه من بين أهداف التعليم العالي،... **تمكين الأستاذ والطالب على حد سواء، من تنمية القدرات، والحفز على التفكير والإبداع، والتعاون والمشاركة الفعلية، وإيجاد الحلول بكل مهارة وكفاية وكفاءة** [7]، مع مواصلة البحث عن الخطط والطرق والأدوات، والتجارب التي تثمر في هذا النوع من التعليم داخل الجامعة.

وإذا كان من أسباب التفاوت، بين البلدان المتقدمة والنامية والمتخلفة، تلك الفجوات والنقائص الموجودة، في مكونات التعليم الجاري بالجامعات، فيفضل العمل على إصلاح مجمل عملياته، وجعله أكثر انفتاحا وتجاوبا، ليتفاعل ويتناغم مع باقي الأنساق القائمة في المجتمع.

5-الجامعـــة L'université : إن مفهوم **جامعـــة** université، قد لقي اهتماما من طرف الباحثين، لذلك تعرف الجامعة ... **أنها مركز إشعاع حضاري علمي واجتماعي، وتهدف إلى تنمية الأفراد والمجتمع، علميا وثقافيا واقتصاديا، من خلال وظائفها الأساسية، المتمثلة في التعليم العالي وخدمة المجتمع**[8]، وتبقى بفضل القائمين على تنظيم شؤونها، تتفاعل وتنفتح على المؤسسات، ذات الصلة في المجتمع بشكل عام.

ومواكبة لتطور الحياة الاجتماعية بمختلف مناحيها، ونظرا للحاجة الملحة من قبل الناس إلى التعليم، ومثابرتهم لطلب المعارف والعلوم، لقد أدت هذه العوامل وغيرها، بالدول إلى إنشاء وبناء مؤسسات، يمارس فيها التعليم بطرق وأساليب رسمية نظامية، ومحدد ومتواصل. ومن زاوية النظر هذه، يصبح مفهوم الجامعة في الوقت الحالي، يدل على أنها المؤسسة، التي تتطلب تحصينا لمكانتها، كونها معنية بقيادة المجتمع نحو النمو والتطور والتقدم.

وهو الأمر، الذي دعى المفكرين والباحثين، التركيز على المفهوم الحديث للجامعة،... **باعتبارها المؤسسة التي تسهم في تطوير المجتمع، كما ينتظر منها، أن تتحرك باتجاه ترقية المجتمع وأفراده، وتبصيرهم بمستجدات الحياة المعاصرة** [9]، لذلك تظل الجامعة، مطالبة بأداء أدوارها المنوطة بها، كما يجب أن تتدخل لتخفف على الأمة أعباء تحديات العصر. وبواسطة التحكم في مختلف العمليات البيداغوجية، ، سيكون للمؤسسة الجامعية مكانة رائدة في المجتمع، شريطة تعزيز علاقتها بالمحيط، وبجميع مؤسسات القطاعات على تنوع مناشطها الخدمية والإنتاجية الموجودة في الداخل، وحتى على النطاق الخارجي، إن كان ذلك متاحا و وتترتب عنه نواتج ذات نفع بشري وعلمي ومادي.

ثانيا: الإجراءات البيداغوجية الأساسية التي تمنح الكفاءة في التعليم الجامعي

ما يجب معرفته، والاجتهاد في استيعابه، والتمكن منه وإتقانه، أن التعليم في المؤسسة الجامعية الحديثة، أصبح يتطلب إجراءات وإعدادات مصممة بدقة.

وتوجيه العمل وفق بيداغوجيا، محورية ديناميكية تنوعية متوازنة، وتتحرك في سياق مكونات ذات أبعاد تربوية وتعليمية وتكوينية، وتقييمية وتقويمية متكاملة، تستدعي

من كل الأطراف المشاركة، الحرص والمثابرة نحو توفير العناصر الجيدة، وذلك لتفعيل وتعزيز الحلقات، التي تتشكل منها العملية البيداغوجية، وتتعين فيما يلي:

الإجراء البيداغوجي الأول

المـــدخـــلات : لكي تتحول العمليـــة البيداغوجيـــة إلى ممارسة منظمة، وفن راق وسلوك ونشاط هادف، سوف يكون من المنطقي، وما تستلزمه المهام ذات الصلة بالتعليم في الجامعة، إيجاد واختيار الموارد التالية:

1-الموارد البشرية: يرى اغلب رجالات الفكر، أن للتربية والتعليم، دور في تنمية وتطوير قدرات الأفراد، وفي هذا الصدد يؤكد **ألفرد مارشال Alfred Marchel ...أن أبلغ أنواع رأس المال قيمة، هو رأس المال الذي يستثمر في الإنسان**[10]، لذلك فالجامعة في حاجة ماسة لطاقات بشرية مؤهلة، ولها من الدراية في الفنون البيداغوجية العملية، وذات الآثار النافعة في السلوك والممارسة.

وبالنسبة للموارد البشرية، فهي ممثلة في الفرق المشرفة والمسيرة والمكونة، بدءا بالمقررين والمبرمجين والمخططين على مستوى الهيئات الحكومية، ومدراء الجامعات والمراكز الجامعية، وعمداء الكليات، ورؤساء المعاهد والأقسام والشعب، ووحدات ومخابر ومشاريع البحث، والإداريين والأساتذة والطلبة، و الأعوان المساعدين في مصالح الصحة والخدمات، والمتعاملين الدائمين...

2-الموارد المادية: تنحصر في الهياكل، بحيث تصمم وتنجز في أجنحة الإدارة، والقاعات الكبرى، والمدرجات والحجرات، والورشات والمخابر والمكتبات، وقاعات النشاطات الثقافية والفنية والرياضية...

3-الموارد المالية: تنظم في الميزانيات، وضرورة إنفاقها بأساليب رشيدة على عمليات التسيير، والرواتب والأجور والعلاوات، و المال الذي يوجه إلى إصـــلاح الأجهزة والوسائل، وترميم الهياكل والمحافظة عليها وصونها ، واقتناء الأدوات والمعـــدات المختلفـــة...تأتـــي المدخلات المنتقاة بكيفيـــة محضر لها، لتفيد أي نشـــاط بيداغوجـــي، يجـــري ويرتبـــط بالتعليـــم، الذي تشرف على إدارته الفرق المنتمية للجامعة، ونحن نرى أن مثل هذا الإجراء، هو حجر الزاوية في بناء وبعث الحركية البيداغوجية، وخصوصا في الجامعة الجزائرية.

الإجـــراء البيداغوجـــي الثـــانـــي

العمـــليـــات: إن جل ضروب الأدوار التي تتبع أثناء ممارسة النشاطات التعليمية، وخاصة داخل الجامعة، تفرض تصميم مدروس ومخطط وهادف للآتي:

1-المناهج التعليمية الجامعية : تحتاج المناهج في التعليم العالي، عناية فائقة من طرف المتخصصين والخبراء، لأن **...عملية التخطيط للمناهج مهمة، لأنها أداة تشكيل الشخص المرغوب فيه، ونقل الحاضر إلى المستقبل الذي نرغب فيه**[11]، ثم يعقبها التوظيف العملي، لتظل تتماشى والحاجات البيداغوجية، لكل من الأساتذة والباحثين والطلبة، والمجتمع الجامعي المتعدد الأطراف.

لكن دون إهمال الدور الفعال، الذي ينتج عما تحتويه المقررات والوحدات الدراسية ، زيادة على مصادر المعرفة، المستقاة من الموسوعات والمعاجم، والكتب والدوريات والرسائل والأبحاث والسجلات والوثائق، والبرامج المتعلقة بأنظمة العمل، والوسائل التي تستخدم في الوظائف التعليمية...

2-التشريع الجامعي: ويوضع ويقنن ثم يأخذ مجراه التطبيقي، وذلك بمراعاة طبيعة ونوعية المسؤوليات والأدوار والأعمال، والالتزامات والواجبات والحقوق، والعلاقات التفاعلية التبادلية، والإنضباط وتنظيم المجالس العلمية ، ومجالس التوجيه والتأديب...

3-النشاطات الجامعية : تدار إنطلاقا من الحصص التربوية، والتعليمية التعلمية، والتكوينية والتدريبية، أضف إلى المحاضرات والتطبيقات، والأعمال المخبرية والميدانية، وانتقالا إلى النشاطات البحثية العلمية والنشر، ورزنمة العطل والامتحانات والمسابقات، والمنافسات الثقافية والفنية والرياضية ، والحرص على القيام ببعض الخرجات والتربصات طويلة وقصيرة المدى ... تعتبر العمليات، إجراء وحلقة تشغيلية للعمل البيداغوجي الجامعي، كما أنها القلب النابض، إذ من خلالها ترتبط سلسلة النشاطات، المنبثقة عن المناهج والتشريع، وباستثمارها أكيد ستحقق معظم الغايات، المنتظرة من المجتمع الجامعي في الشأن البيداغوجي.

الإجراء البيداغوجـــي الثالث

الحـــوافـــز :نعرف، أنه من مكامن النزعة البشرية، أن أي نشاط أوسلوك يقوم به الفرد، وفي كل موقع غير رسمي، وسيما إذا كان رسميا، ومهما كانت نوعيته أو درجته، طبيعي

أنه يحتاج إلى فعاليات مساندة وأساليب وآليات تشجيع، تمنحه قوة العزيمة والإرادة، والرغبة في مواصلة وتيرة الجهد المبذول، والمتماشي مع الأهداف المسطرة. ولكي تثمر العملية البيداغوجية في الجامعة، وبما فيها الجامعة الجزائرية بالأساس، كان لزاما على القائمين والمدبرين لشؤون التعليم العالي، تقديم حوافز في شكل نظام قائم ومتطور باستمرار، وسنقف على ذكر أهمها:

1-الحوافز التنظيمية: تبقى الحوافز ضرورية في كل البيئات التنظيمية، وخاصة في المؤسسات التعليمية ومنها الجامعة بالذات، إذ تساعد إجراءات التنظيم على تشجيع الفرق،...**ورفع معنويات الأفراد، ويصبحون يؤدون واجباتهم على أكمل وجه، ويسود بينهم في المؤسسة التعليمية، الإنسجام والترابط والتعاون، والسعي لتحقيق الأهداف المشتركة**[12]، ومع الوقت تظهر الكفاءة الداخلية للتعليم الجامعي.

وإذا رجعنا إلى نوعية هذه الحوافز، نجدها تتلخص في الأساليب الخاصة بتنظيم الوظائف والمهام، وتحديد المسؤوليات والأدوار، وضبط العلاقات بين كافة الفرق، وفتح المجال واسعا للتفاعل والتعاون، والحوار والمشاركة والمنافسة، وتسهيل نطاق المبادرات والأخذ بها، وإتاحة فرص الترقية المبنية على التدريب و التكوين، وترسيخ قيم وأفكار التداول على المناصب...

2-الحوافز المادية والمالية: وتتعين في توفير المرافق، والحرص على استعمالها، واستغلالها بنظام، إضافة إلى تجديد الوسائل والمعدات وصيانتها، وتقديم الزيادات المستحقة في الرواتب والأجور، والمنح والعلاوات والقروض...، وغيرها من الأشياء والحصص النقدية، التي تحقق الاكتفاء والمنافع لأصحابها.

3-الحوافز التربوية والتعليمية والعلمية: إن جميع الأطراف التي تنشط في الوسط الجامعي، وسيما الأساتذة والطلبة، هم في حاجة إلى إجراءات داعمة للعملية البيداغوجية، بمختلف مناحيها وأبعادها التكوينية والتدريبية والسلوكية... .

إلى جانب إثراء دوائر البحث العلمي، وتمكين الباحثين من مصادر المعارف والمعلومات، وتسهيل سبل الاتصالات، والاستفادة من الممارسات التي تتم داخل المؤسسات الجامعية وخارجها، ... **وهذا كله لهدف الرقي بالمستوى العلمي والتقني، والاهتمام بمتطلبات واحتياجات الجميع**[13]، أي بالفرد والجامعة والمجتمع من دون

استثناء. كما توجد حوافز أخرى، معنوية في صورة رسائل شفهية، وتواصلية وموقفية...، تقوي وترسخ مكونات العملية البيداغوجية ،الجارية والمتبعة في المؤسسة الجامعية.

تمثل الحوافز بكل أنواعها، الإجراء البيداغوجي الرئيسي، باعتبار أن النشاطات المتنوعة التي تحدث في الجامعة، تتطلب دعما وتحفيزا متواصلا، كي يبلغ الأفراد المراتب التي يطمحون إليها، وذلك هو رهان مستقبلي، يضعه أبناء أمتنا للنهوض بالجامعة والمجتمع.

الإجراء البيداغوجي الرابع

المخـــرجـــات: لقد أضحى العمل البيداغوجي، وخصوصا المرتبط بالجوانب التربوية والتكوينية، والتعليمية التعلمية والتدريبية...، يقاس بما ينجم عنه من نواتج متعددة الأوجه، بحيث يكون المستفيد المباشر منها الطلبة والأساتذة، ثم تأتي الأطراف المنتمية والمشاركة والمتعاونة، ويتجلى مردودها في الآتي:

1-القدرات المطورة: تأييدا لكل من **مايكل بروسر** Michael Prosser و **كيث تريغويل** Keith Trigwell ... **إن التعليم العالي الجيد، يتطلب وعيا متواصلا بـــ:**

- أوضاع تعلم الطلاب الحالية
- طبيعة التعليم المعتمدة على السياق
- مفاهيم الطلاب عن التكنولوجيات المستخدمة في التعليم، وتنوعهم الثقافي
- الحاجة إلى التقويم المتواصل للتعليم وتحسينه[14]

وجميع هذه الأمور، إذا ما أجيد توظيفها، فإنها تساعد مع الوقت على تنمية المواهب والملكات، والاستعدادات والميول، و الاتجاهات والمواقف والسلوكات، والخبرات والمهارات الإبداعية للمكونين والمتكونين، وباقي الفرق التي تنشط في البيئة الجامعية...

2-المعارف والعلوم المكتسبة: وتتقاطع بشكل تكاملي مع الفنون والتقنيات، والفلسفات والآداب، وتتوزع في الفروع والتخصصات اللغوية والإنسانية والاجتماعية، والشرعية والاقتصادية، والقانونية والسياسية، و المكتبية والإعلامية والإتصالية، والعلمية والطبية والهندسية ...

3-النجاحات والتفوق المحقق: تتجسد في إحداث الانسجام والتكيف، والتجاوب مع كل العمليات، وبدرجات رفيعة من الإبداع والابتكار والاختراع والتفنن، والإنتاج المعرفي و البحثي العلمي والتكنولوجي...

إن التطرق لقضية تحديد سياق الفعل والفن البيداغوجي، كنشاط حركي ومتجدد في التعليم القائم بالجامعة، سوف يقودنا إلى توضيحه في الشكل الآتي:

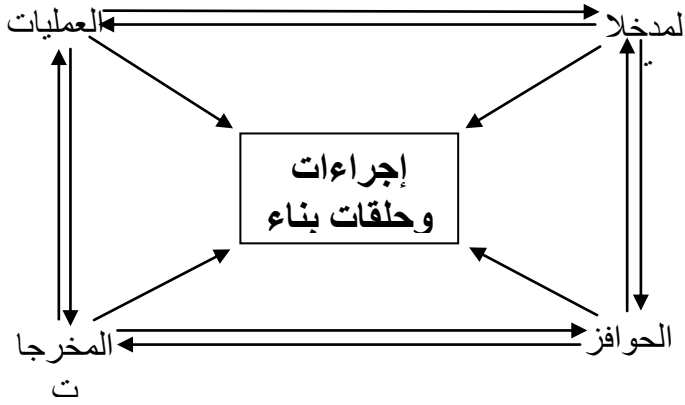

ومن زاوية نظـــر واسعـــة وبعيدة، ندرك... **أن الحيـــاة في الجامعـــة بالنسبة للمكون والمتكون، لا تتوقف فقط على أساليب ووسائل محددة ، بل تتعدى لتمس كل ما من شأنه، أن ينمـــي جوانب الشخصيـــة الإنسانية** [15]، لأن الهدف الرئيسي للعملية البيداغوجية برمتها، أن تعكس كفاءة الأفراد في الأداء والسلوك، وتكشف عن مستوى جودة التعليم العالي، الذي يجب أن يرقى إلى متطلبات المجتمع الجزائري الحالية.

ثالثا : القيمة الحركية للعملية البيداغوجية داخل التعليم الجامعي: إن المسائل المطروحة في البحـــث الحالي، أثارتنا للقيام بقراءات متمعنـــة، استنبطنـــا منهـــا بعض الشروحات، والتفاصيل التي قدمت حول أنواع من البيداغوجيات، مثل:

1- بيداغوجيا الأهداف 2- بيداغوجيا المشروع 3- بيداغوجيا الدعم

4- بيداغوجيا الإدماج 5- بيداغوجيا الفارقية 6- بيداغوجيا الكفاءات...

واكتشفنا، أنه توجد اختلافات بين الكثير من المفكرين، و المربين والباحثين المتخصصين، والخبراء في هذا الشأن، ومن بينهم **واطسون** Watson ، **سلافين** Slavin، **شاران** sharan ، **بيرنو** Berno ...، وغيرهم ممن كانوا يتصورون، بجدوى كل بيداغوجية، مقارنة بالبيداغوجيات التي سبقتها، سواء في التعامل مع المدخلات والعمليات، وأيضا المناهج والأنساق المعرفية، وهيئات التدريس وفئات المتعلمين، والحوافز والمخرجات... .وبالنسبة للقيمة الحقيقة، المفترض أن تحدثها العملية البيداغوجية، داخل التعليم الذي يتم في البيئة الجامعية، فتظهر في قدرتها على بعث الحركية والديناميكية، وذلك بتعويض بعض الإجراءات القديمة، بمكونات وعناصر جديدة، تليق بنظام التعليم العالي، وتضمن نسبيا الكفاءة التربوية والتكوينية، والتعليمية التعلمية والتدريبية... .وفي ضوء هذا التوجه، سوف يكون من الأجدر التركيز على توظيف،... **استراتيجية التعزيز الجماعي والذاتي، لأنها تقوي الاستجابات والسلوك التعاوني والتنافسي**[16]،وذلك بين أعضاء الفرق، وخاصة إذا تعلق الأمر بالمتعلمين، وهنا لوحظ أن العملية البيداغوجية، وبأوجه نشاطاتها المتنوعة، تظل تتغذى بالعمل الجماعي والفردي على حد سواء، وتتيح من جهة أخرى لبروز الفرديات في الإبداع والتفنن، والتفوق الذي يجب أن يترك، فوائد في بيئة العمل التعليمي الجامعي.

وأمام هذا الانشغال، سوف تتعين المنافذ المؤدية إلى تجسيد الحركية البيداغوجية، مع ضرورة إتباع أساليب التعاون والتبادل والحوار، والاهتمام بالتنظيم والتغيير، والإشراف والتوجيه والمراقبة، والتقييم والتقويم والتعديل...، وكلها عمليات تتجدد باستمرار، وبكيفية تمكن لأي فرد الانخراط في السياق الرسمي للممارسة البيداغوجية.

وتكريسا للبيداغوجيا المتكاملة والمتوازنة، والتي تدعو الجميع للإحساس والوعي وتحمل المسؤوليات، والدراية بالأهداف المرغوبة، وجلها لا تتعارض مع السياسة التي تنتهجها بلادنا، في المجالات التربوية والتعليمية، والتنموية والاجتماعية الخاصة بالتعليم العالي. وإذا كانت النزعة الموضوعية في البحث، تسترشدنا للإقرار بأسباب سلبية، والتي تنتج من جهتها في بعض جامعاتنا، نوع من نقص الحركية، والفاعلية من الناحية البيداغوجية، فإنه ... **يجب الحرص على سد الثغرات، لعدم الوقوع في مثل المطبات، التي كادت أن تهدم النظام البيداغوجي القائم**[17]، وهو الواقع الذي تحكمت فيه معطيات

بشرية ومادية ومالية، وتنظيمية وفنية وتكوينية...، استلزمت في الأخير الحرص على التخطيط والتطوير للعملية البيداغوجية الشاملة، كي تكتسب جدواها التنوعية والتجددية بالمؤسسات الجامعية.

رابعا: العوائق التي تحد من ديمومة الحركية البيداغوجية في بيئة التعليم الجامعي

في منظومتنا الجامعية، كثيرا ما نلمس الحماس والطموح، الذي يبديه ممن تخول لهم، وضع السياسات والخطط الإصلاحية، وهذا موقف إيجابي يشاد به، أضف إلى الرغبة في التطلع إلى مستقبل أفضل. لكن يجب أن نكون على فطنة ووعي جيد ، باتخاذ التأني والحوار مسلكنا الصحيح، والابتعاد قدر المستطاع عن تسريع عمليات التنفيذ، لأن الإجراءات والإعدادات والشؤون البيداغوجية، تستوجب من الكل الدراسة والتدقيق ، وبعدية النظر في الفكر والممارسة.

وما دامت الفرق المنتمية لقطاع التعليم العالي في الجزائر، تتجه نحو تحقيق الأهداف المنتظرة ، وذلك بالتمكين لإرساء أسس ومقومات بيداغوجية حديثة، في كافة الجوانب والمناشط، التنظيمية والتربوية والتكوينية، والتعليمية التعلمية والتدريبية، والفنية والإشرافية والتوجيهية... . فإنه بالمقابل ومما لاشك فيه، وجود شوائب تمس أغلب نظم التعليم، القائمة في البلدان الأخرى، وعليه فإن تعليمنا الجامعي، لا زالت تتخلله نقائص وتعترضه بعض الصعوبات، والتي تقف أحيانا حجرة عثرة، بحيث تؤثر لتحد من ديمومة وتيرة الحركية في النطاق البيداغوجي، وسنذكر منها ما يلي:

1-الغموض الذي يكتنف النصوص الخاصة بالتنظيم، ووجود مواد في التشريع الجامعي، لا تفي بالمطالب على أكمل وجه، مما يتعطل تطبيقها في آجالها المحددة.

2-التحول مع الوقت من اللامركزية في التسيير والمراقبة، واتخاذ القرارات التي تخص شؤون الجامعة، والعمليات المختلفة التي تتم في هذا المجال، إلى المركزية التي تؤثر مستقبلا على الانفتاح والنمو والتطور.

3-االاستخدام غير المخطط، للمرافق والهياكل الضرورية، لسير النشاطات التربوية والتعليمية، وفي بعض الأحيان يتأخر إنجازها في الوقت المتفق عليه.

4-التراجع أحيانا في الجهود المبذولة بيداغوجيا، في جوانب التكوين التربوي والتدريب التعليمي للمؤطرين، ونقص الاهتمام بالندوات المستمرة والمكثفة، لصالح أعضاء هيئة التدريس، وهذا ما لا يساعدهم على اكتساب المهارات والكفاءات، التي يستحقها التعليم داخل الأوساط الجامعية.

5-الامتداد غير المنقطع لبعض الاختلالات، والتي يولدها الكم العددي الهائل للطلبة، والناجم عن الطلب الاجتماعي المتزايد على التعليم الجامعي.

6- التغييرات والتعديلات الظرفية، التي تطرأ على المناهج والبرامج، ومقررات العديد من المقاييس أو الوحدات الدراسية، واستحداث بعض الإجراءات التي تخص الامتحانات الدورية، وجميعها تؤدي إلى تشتيت العمل الجماعي والفردي، في عمليات الإشراف والتوجيه، والتقييم والتقويم... .

7-التقادم الذي يطبع مصادر وأرصدة المعرفة، ... **وغياب البيئة البحثية الجيدة**[18]، والفتور الذي ظهر في عمليات التكوين للأساتذة والباحثين بالخارج والإشراف، وإنجاز الدراسات المميزة وذات القيمة العلمية المجدية.

8-التقليل من شأن التنسيق بين جميع الفرق، والجهات التي تنشط داخل المؤسسات الجامعية، وهذا الأمر أو الإشكال يعود إلى التهاون في التعامل مع السياسة البيداغوجية، التي لو اهتم بها الكل، ستمنح مستقبلا المجتمع الجامعي المكانة التي تليق به في مسار الأمة.

إن صعوبات ونقائص كهذه وأخرى عديدة، لتدل قطعا على مدى الإرهاصات، التي يواجهها التعليم الجامعي في بلادنا، وخاصة على مستوى منظومته وإجراءاته ومكوناته البيداغوجية.

-تـــقييـــــم: تأييدا لمنظومة بيداغوجية ذات حركية، فعلية وفاعلة في التعليم الجامعي، تتجاوب والآفاق والرهانات الحاضرة والمستقبلية، وتتعدى النطاق الضيق والمحدود، وتتسع لتجمع وتبعث الإرادة لدى كل الأطراف والفرق المشتركة مع بعضها، والتي تدخل في تفاعل وتعاون وتساند ، و تبادل وتكامل فيما بينها .

ولكي يتم الوصول إلى الأهداف المنشودة، في مختلف النواحي والإجراءات والشؤون البيداغوجية، يصبح لزاما على المقررين والمسيرين والمنظمين، والمكونين والطلبة في جامعاتنا، التكاتف والسهر لرسم وتوطين معالم قوية، من خلال :

1 -العمل على تحويل السياسات، والخطط الإصلاحية في التعليم العالي إلى واقع معاش، تسمح فيه ممارسة الحريات الجماعية والفردية، والمسؤوليات الرشيدة والفعالة ايجابيا.

2 -التوجه نحو محاولة توفير مختلف الإمكانات والآليات و الوسائل، وتوظيفها لضمان تفعيل وإنجاح الممارسات، والمهام البيداغوجية إداريا وتربويا وتعليميا... .

3 -العمل في المستقبل القريب على تجديد وتطوير المناهج التربوية والتعليمية، كي تتناسب والمنظومة البيداغوجية الجامعية المعاصرة.

4 -العقلنة والترشيد والإلتزام في الإنفاق المالي، والتركيز على تكريس الأساليب الإقتصادية والإستثمارية في رؤوس المال، وخاصة رأس المال البشري والثقافي في التعليم العالي.

5 -الإهتمام بالإتصال والتواصل والمعلوماتية، وجعل المؤسسات الجامعية بمثابة أنساق تنظيمية منفتحة، سواء في الداخل و على باقي القطاعات، وإن أمكن حتى على المستوى الخارجي.

6 -الإستمـــرار في المســـار الإصلاحي والتجديدي، ووضع خطط بديلة وحديثة خاصة بمواجهة بعض الأزمات البيداغوجية، والصعوبات والعراقيل والنقائص التي تظهر في الأوساط الجامعية، والتي تنتقل مؤثراتها من المحيط المجتمعي ككل.

7 -العناية بالتشريع الجامعي وتحسينه وتقنينه، وتنويع الإعلام والخدمات، المتعلقة بالصحة والنقل والإقامة والإطعام، وتسهيل التنقل وانتقال المعلومات بين الفرق المنتمية للجامعة.

8 –التأكيد على ضرورة المشاركة الفعلية، للأساتذة والطلبة في العديـــد من القضايا، ذات الأهداف والأبعاد البيداغوجية، إلى جانب تأسيس مخابر وورشات ومشاريع، ونوادي للبحث العلمي والإبداع والإختراع... .

9 –التحفيز لكل المبادرات والجهود المبذولة والمقدمة، مع تغذية وتدعيم المنظومة البيداغوجية الجامعية، ومدها بالأفكار والطروحات والتصورات، والحلول المطلوبة والمطورة، والتي تترتب عنها آثار ايجابية و تخدم وتفيد الجميع.

10–التقييم الدوري والمتتابع، لأطر المعارف والبرامج الدراسية، وتنمية القدرات والمهارات الإبداعية والبحثية، وترسيخ المبادئ والقيم، والأخلاقيات في الحياة اليومية، داخل بيئات مؤسساتنا الجامعية.

إن متطلبات كهذه وغيرها، سترقى مستقبلا بالمنظومة البيداغوجية، التي تمارس ضمن سياق التعليم الجامعي، كما ستنتج مخارج ذات نفع كبير، إن وجدت حرصا من طرف الأفراد،باعتبار أن التنافس اليوم بين الأمم، قائم حول التربية والتعليم، وهذا الأخير بات من بين المقاييس الرئيسية للتطور والتقدم، الحاصل في جل ميادين الحياة.

المـــراجـــع

1 –عدنان أبو مصلح: معجم علم الاجتماع، الطبعة الأولى دار أسامة للنشر والتوزيع ودار المشرق الثقافي–عمان–الأردن 2006 (ص.ص: 227–228)

2–ميشيل تكلا جرجس ورمزي كامل حنا الله: معجم المصلحات التربوية ، الطبعة الأولى مكتبة لبنان ناشرون–بيروت–لبنان 1998 (ص.ص:14–15)

3–محمد غنيم: إستراتيجيات التدريس http://www.wpvschool.com 2006 (ص:1)

4– –ميشيل تكلا جرجس ورمزي كامل حنا الله: نفس المرجع السابق (ص:275)

5– رشدي لبيب وآخرون: الأسس العامة للتدريس الطبعة الأولى دار النهضة العربية للطباعة والنشر–بيروت–لبنان 1983 (ص:29)

6–مصحف القرآن الكريم الطبعة الثالثة دار المعرفة–دمشق–سوريا 1425هـ/2003م (ص:597)

7–حسن شحاتة وزينب النجار:معجم المصطلحات التربوية والنفسية الطبعة الأولى الدار المصرية اللبنانية–القاهرة–مصر2003 (ص.ص:114–120)

8– عبد الإله يوسف الخشاب ومجذاب بدر العناد: الجامعة المنتجة (مبرراتها وسبل تطبيقها في التعليم العالي في الوطن العربي) المجلة العربية للتربية–المجلد السابع عشر– العدد الثاني المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم –تونس 1997 (ص: 139)

9–ذكرت من طرف: أنور حسين عبد الرحمن وعدنان حقي شهاب زنكة دور التعليم العالي ومؤسساته التربوية في التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في عالم متغير http://amalkashilf.com (ص: 9)

10 فردريك هاربيسون و تشارلز ا. مايرز: التعليم والقوى البشرية والنمو الاقتصادي (استراتيجيات تنمية الموارد البشرية) مكتبة النهضة المصرية –القاهرة– مصر بدون سنة النشر (ص: 14)

11 ر–اتب قاسم عاشور وعبد الرحمان عوض أبو الهيجاء: المنهج بين النظرية والتطبيق دار المسيرة للطباعة والنشر والتوزيع–عمان– الأردن 2004 (ص: 187)

12 –محمد حسن محمد حمادات : السلوك التنظيمي والتحديات المستقبلية في المؤسسات التربوية دار الحامد للنشر والتوزيع– عمان – الأردن 2007 (ص.ص: 64–66)

13-طاوطاوي زوليخة: الجو التنظيمي السائد في الجامعة الجزائرية وعلاقته برضا الأساتذة مجلة حوليات-عدد خاص- جامعة الجزائر-الجزائر1996/95 (ص.ص:64-66)

14- مايكل بروسر و كيث نزيغويول: كيف نفهم التعلم والتعليم (التجربة في التعليم العالي) المجلة العربية للتربية- المجلد العشرون-العدد الأول المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم -تونس 2000 (ص: 255)

15-عبد الحميد دليمي: التعليم العالي في الجزائر وتحديات العولمة منشورات مخبر (المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة) العدد الثاني-جامعة محمد خيضر-بسكرة دار الكتاب العربي-الجزائر2006 (ص.ص:9-12)

16- أسماء عبد العال الجبري ومحمد مصطفى الديب: سيكولوجية التعاون والتنافس والفردية الطبعة الأولى عالم الكتب- القاهرة- مصر 1998 (ص.ص:186-187)

17-عثمان بن صالح العامر: الجامعات الجديدة والتحديات الأصعب http://www.al-jazirah.com.sa (ص:1)

18-أحمد عبد الجواد: إشكالية البحث العلمي والتكنولوجيا في الوطن العربي دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة-مصر2000 (ص.ص: 201-202)